العرب
الأربعاء 2021/10/06
السنة 44 العدد 12201

«جسر بضفة وحيدة» رواية تنقل قرّاءها إلى متاهة سريالية

حكاية امرأة بين ذكريات تتداخل مع الحاضر وموتى يعيشون مع الأحياء

يمكن للرواية ما لا يمكن لغيرها من أجناس الأدب الأخرى، حيث تسمح لها مساحتها وتمازج الفنون في متنها بتناول الكثير من الأفكار المربكة والمحيرة بزوايا متنوعة، وربما كانت قضية الحياة والموت من أعقد القضايا الفكرية الوجودية، التي ناقشها وما زال يناقشها الأدب والروايات بشكل خاص، وفي كل مرة يجد القراء أنفسهم أمام كشف جديد، كما هو الحال مع رواية "جسر بضفة وحيدة".

بحث الذات عن حقيقتها في عالم غريب (لوحة للفنان محمد خياطة)

عمان – ما إن يطوي القارئ الصفحة الأخيرة من رواية "جسر بضفة وحيدة" للكاتبة الأردنية هيا صالح، حتى تتلبسه حالة من القلق والارتباك والحاجة إلى إتمام السرد ومعرفة المزيد من الأحداث ومصير الشخصية الرئيسة فيها. إذ تستمر الحيَوات التي طوتها الأوراق في مواصلة العيش والتغلغل في مسام وعي القارئ وتلبُّسه والسيطرة عليه، ليدرك أن ما بقي من أحداث يودّ معرفتها يمكنه هو تشكيلها ضمن رؤيته الخاصة وتجربته الذاتية.

خطان سرديان

اعتمدت الكاتبة في روايتها على السرد الذي يميل للغرائبية والفانتازيا، ووظفت شخصيات مركّبة وجدلية، بخاصة في ما يتعلق برؤيتها للحياة وتصورها للعالم من حولها، وهو التصور الذي تَشكّل بفعل ماضي تلك الشخصيات وذكرياتها التي شيّدت حولها أسوارا من العزلة والتوحّد والرغبة في العودة إلى مكانها الأول/ ذكرياتها الأولى/ رحم وجودها الأول، وهي حين لا تتمكن من العودة ماديّا وجسديّا، تعود إليها نفسيّا وعبر استدعاء الذكريات الماضية التي تستقر عميقا في لا وعيها.

تطرح الرواية، الصادرة حديثا عن "الآن ناشرون وموزعون" بعمّان، مفاهيم تتعلق بالذاكرة التي هي "ماكينة" غريبة، تشبه شرائح الكمبيوتر، غير أنها تختلف عنها في مستوى الدقة؛ فالمعلومة الرقمية تبقى كما هي وتظهر عند استدعائها بالشكل الذي خُزّنت عليه، أما الذاكرة فلا، إنها تتأثر بمشاعرنا وأحلامنا ومخاوفنا، وترتبط بإدراكنا أو تصورنا للحدث الحقيقي.

وهذا ما قد لا يتطابق مع الحدث الأصلي، لذا عندما نحاول أن نتذكّر حدثا ما، فإننا لا نتذكره نفسَه، وإنما يحضر تصوُّرَنا عنه، فالذكريات لا تشبه مقاطع "الفيديو" أو الصور الموثقة، وهي غير ثابتة على مدار الزمن، إنها شديدة الشبه بـ"الخلّاط الكهربائي"، لأنها تدمج معلومات وتفاصيل جديدة مع ما اختزنته من أحداث، لذا فإنّ تذكُّرنا للأحداث هو في حقيقته إعادة تخيُّل لها لا يخلو من الإبداع.

كما تناقش الرواية مفهوم "الحقيقة" عبر شخصيات تفني نفسها باحثة عن معنى وجودها وحقيقته في خضم أحداث تضرب عرض الحائط بكل المسلّمات وما يطلق عليه حقائق. ومثال ذلك ما نطالعه في هذا الحوار المأخوذ من الرواية بين الشخصية الرئيسة والشاب الغامض الذي يعمل في المقهى "عليك الإيمان بالرؤية لتَرَي./ هذا مناف لكلّ ما أعرفه./ وما الذي تعرفينه؟ ربما تكتشفين في لحظة ما أنك لا تعرفين حتى أقرب الناس لكِ.. بل أحيانا يصعب أن تعرفي نفسَكِ. فلا تحدّثيني عمّا تعرفينه".

بُني المتن الحكائي للرواية ضمن خطّين سرديَّين، خطّ الماضي من خلال الفصول التي تعود بها بطلة الرواية إلى الأيام الخوالي، وخطّ الحاضر الذي يؤشر على حياتها الراهنة المعاشة، وقد استخدمت الكاتبة صيغة الماضي لاستجلاء أحداث الفصول التي تتحدث عن الماضي، بينما استخدمت صيغة الفعل المضارع للتعبير عن الفصول التي تتناول مجريات اللحظة.

وبين الخطّين ثمة نقاط تقاطُع تشرح وتفسّر وتحلّل الجانب النفسي للشخصيات، وثمة أيضا فراغات كثيرة متروكة لرؤية القارئ وتأويله.

تفتتح الرواية بوصول رسالة شديدة الغموض للشخصية الرئيسة "سامية"، التي تجد نفسها مدفوعة للبحث في ماضيها والعودة إليه فتجده مستقرا بكل ثقله في لا وعيها، وهي أمام السؤال الكبير "هل يمكننا إصلاح أخطاء الماضي؟".

أحياء وأموات

تمضي البطلة في رحلة غرائبية تبحث عمّن فقدتهم بالموت، أو مَن تركتهم بسبب الحرب، أو مَن جرحتهم وآذت مشاعرهم، لتدخل رويدا رويدا إلى عالم الموت الذي يجثم بثقله على حياتها.

وفي ذلك تقول الكاتبة "حاولت أن أرسم للموت شكلا ووجودا ماديا، أو كيانا محسوسا، لأطرح من خلال ذلك جملة من التساؤلات التي يمكن أن يجدها بعضهم مثيرة ومستفزة"، مضيفة "أردت تشكيل وعي عميق حول ثنائية الحياة والموت، أو الأحياء والأموات، وكيف يؤثر كلّ من طرفَي هذه الثنائية في الآخر".

وبدافع من تلك الرسالة الغريبة، تعصف الأحداث غير المعقولة بحياة البطلة، إذ تتشكل علاقة مرتبكة بينها وبين شاب يعمل في مقهى في منطقة معزولة، ثم تتحول البطلة إلى امرأة مشتبه بها في جريمة قتل، قبل أن تلتقي بسكرتيرة والد زوجها التي تكون هي أيضا شخصية غريبة وتمتلك طاقة مؤذية، ثم يعود الرجل الذي شكّل أول حب في حياتها للظهور، ويقلب وجودُه حالةَ الاستقرار التي تعيشها.

هذه الأحداث السريالية تُدخل القارئ في متاهة تجعله غير قادر على التمييز بين الشخصيات؛ مَن منها على قيد الحياة ومن منها فارقها. وبحسب صالح؛ كانت هذه البنية مقصودة، وتوضح هذا الجانب بالقول "تعمدت ذلك الخلط بين أحياء وأموات، كي يجد القارئ نفسه يعيش في خضم العالمين معا، وبالتالي تصبح فكرة وجود ذلك الجسر الذي يتواصل فيه الأحياء مع الأموات معقولة ومقبولة".

وضمن البناء لثيمات الرواية تحضر الموسيقى بشكل أساسي وفاعل، ومعها التأمل في مسائل تتعلق بالحياة والوجود، وبالكتابة والقراءة، وكلها تتعالق مع شخصيات الرواية التي يحملها السرد بلطف كأنها تطفو فوق مياهه العميقة بخفة وبراعة، وهذا ما شكّل عنصر جذب كبيرا في الرواية إلى جانب أن القارئ سيجد نفسه يلهث وراء الأحداث ومعرفة مجرياتها التي تأتي غالبا لتكسر أفق توقعه وتدهشه، وتثير لديه الأسئلة أكثر مما تمنحه الأجوبة، تاركة إياه في حالة تأهب دائمة.

تقول صالح "أرى أن فعل الكتابة هو وعد للقارئ بخوض مغامرة تهدف إلى الإمتاع، أجهّز له من جهتي الأدوات اللازمة لذلك، ثم أترك له حرية خوض المغامرة بالطريقة التي تناسبه".

يُذكر أن هيا صالح روائية وناقدة ومؤلفة وكاتبة سيناريو أردنية. صدر لها في الرواية "لون آخر للغروب" التي فازت بجائزة كتارا للرواية العربية (2018)، و"شقائق النعمان" التي فازت بجائزة "اتصالات" لكتاب العام للبافعين، و"تراب مضيء". ولها في النقد "الخروج إلى الذات"، و"سرد الحياة"، و"المرجع وظلاله"، و"أبواب الذاكرة"، و"المسافة صفر" الذي فاز بجائزة ناصرالدين الأسد للدراسات النقدية (2016). وكانت صالح قد نالت جائزة الدولة الأردنية التشجيعية (2017)، وجائزة أفضل كتاب عربي للطفل (2013)، وجائزة النص المسرحي الموجَّه للطفل/ المرتبة الثالثة (2013)، وجائزة ناجي نعمان الأدبية (2013).

> الرواية تناقش مفهوم الحقيقة عبر شخصيات تفني نفسها باحثة عن معنى وجودها في خضم أحداث تسقط المسلّمات

مؤتمر الناشرين في معرض الرياض يكشف مستقبل الكتاب الرقمي

الرياض – أطلقت هيئة الأدب والنشر والترجمة أعمال مؤتمر الناشرين الذي يُقام في واجهة الرياض ضمن فعاليات معرض الرياض الدولي للكتاب، بحضور ممثلي ومستثمري قطاع النشر محليا وإقليميا ودوليا، وذلك لمناقشة مستقبل صناعة النشر.

وشدّد رئيس هيئة الأدب والنشر والترجمة الدكتور محمد حسن علوان على أهمية الدور الذي تؤديه الحكومات والمنظمات المعنية في العالم العربي في تفعيل وتمكين قطاع النشر من خلال إيجاد حلول لضعف جاذبية الاستثمار ومصادر التمويل والنمط الاستهلاكي السلوكي للفرد العربي.

وقال في كلمته التي ألقاها في افتتاح مؤتمر الناشرين الأول الذي استمر على مدى الاثنين والثلاثاء، إن المؤتمر يأتي ضمن الجهود التي تسعى من خلالها الهيئة إلى الإسهام في رفع كفاءة وجاذبية صناعة النشر.

وأضاف علوان أن المؤتمر يهدف إلى مناقشة تحديات النشر عبر جلسات "نستشرف من خلالها الآفاق المستقبلية لصناعة النشر، وأشدد هنا على أن هذه المهمة يجب أن تُمارس بشكل تكاملي بين كل دول المنطقة، وأن تكون معارض الكتب أدوات التأثير الكبرى بوصفها منظومة متكاملة لا متنافسة بين دول المنطقة، والمستفيد منها هم الناشرون والمستثمرون والمتلقون والقطاعات غير الربحية".

وانطلق المؤتمر بندوة بعنوان "التحوّل إلى الكتب الرقمية"، قدمها ناشرون دوليون على مسرح معرض الرياض الدولي للكتاب ضمن أعمال المؤتمر.

وتحدث في الندوة كل من بن جلوفر، وشارلوت إليس، وبراد هيبل، وجوناثان كوكسل، وأدارها راندا الشيخ.

وجاءت البداية مع الناشر بن جلوفر الذي أوضح أن التطور قادم في صناعة النشر والحركة سريعة في التحول إلى الكتب الرقمية والإلكترونية خاصة في مناطق التجارة، مشيرا إلى أهمية وجود حاجة ملحة إلى استثمار واسع في هذا المجال، خاصة أنه ومن المعروف أن تاريخ الطباعة مرّ بتحولات كثيرة ويسهم في الاقتصاد من خلال الأعمال الرافدة لهذه الصناعة، التي تتطور وتصنع أسواقا جديدة.

أما بخصوص التحديات في التحول إلى الكتب الرقمية، أوضح جلوفر أنه بالنسبة له كناشر فإن الحقوق والتسويق والمبيعات تعدّ من أهم الاعتبارات، ولكنه يواجه كل شيء بوصفه أمام فرص استثمارية وعليه إيجاد الحلول وتأمين كل الوسائل المساعدة، منوها بأن الكتاب الرقمي ومع سهولة الوصول إليه فإنه خيار ضروري لأن هناك قيمة لتعدد أماكن تقديم المعرفة والحصول عليها.

في حين أفاد الناشر شارلوت إليس أن نشر المعرفة يسهم في شكل سوق العلم والتدريب والنماء المعرفي، إضافة لتأثيره على الثقافة والفنون وجميع القطاعات في كل المجتمعات، لذلك تكون الكتب الرقمية وسيلة مساعدة، عادًا ميزة الكتاب الرقمي بأنها مساحة للاكتشاف خاصة للقارئ المتخصص والباحث، وهذا له أثر كبير في تغذية المكتبة والتجربة بخيارات مختلفة، مشيرا إلى الاستعداد للتحوّل إلى المستقبل، ولذلك نسعى إلى نقل الخبرات العالمية إلى السعودية لأنها في مرحلة تحوّل ملهم ومحفّز.

من جانبها كشفت الناشرة والأكاديمية براد هيبل أنها بوصفها معلمة فإنه يهمها تدريب الطلاب وتعليمهم المهارات المناسبة والخبرات اللازمة لسوق العمل، ويساعد الكتاب الرقمي في تحقيق ذلك، خاصة وأن التحدي الآن في توفير جميع المحتوى المعرفي المطلوب، مبينة أن الرقمنة والموائمة مهمة في كيفية تقديم المعرفة ولكن المحتوى هو الجوهر والأساس.

> الكتاب الرقمي خيار ضروري فالرقمنة والمواءمة مهمتان في كيفية تقديم المعرفة ولكن المحتوى هو الجوهر والأساس

بدوره أعرب الناشر جوناثان كوكسل أنه منذ 2006 وصناعة النشر تتغير وتتحول من الكتاب الورقي إلى الرقمي، وتتسع مساحة التعلم الإلكتروني، وتكشف عن الارتباط والعلاقة بين الثقافة والتعليم لأنه يحدث تبادل معلوماتي، لافتا إلى أن جائحة كورونا أوجدت التفافا واسعا لكل التطبيقات، وتوظيفها للوصول والتواصل، خاصة وأن التغير والتكيف طبيعة الحياة ومهم أن نكون متفاعلين وفاعلين لكل ما يحدث.

وثمّن المتحدثون النهضة الثقافية التي تعيشها المملكة العربية السعودية، وأنها تشكل تجربة رائدة في توظيف التقنيات والرقمنة لخدمة الثقافة والفنون، معبّرين عن اعتزازهم بوجودهم في معرض الرياض الدولي للكتاب الذي يعدّ نافذة إثرائية مهمة.

ويأتي مؤتمر الناشرين ضمن فعاليات معرض الرياض الدولي للكتاب بتنظيم من هيئة الأدب والنشر والترجمة، وهو أول مؤتمر من نوعه يقام في المملكة؛ لبحث تحديات صناعة النشر المحلية والإقليمية والدولية بمشاركة خبراء وقيادات في صناعة النشر من مختلف دول العالم.

وتضمن المؤتمر على مدى يومين ورش عمل وجلسات حوارية تقدمها دور النشر العربية الكبرى، وقيادات صناعة الكتاب، بمشاركة جهات رسمية ومنظمات متخصصة، وذلك لبحث تحديات النشر الراهنة، وفرص الاستفادة من الثورة الرقمية، إلى جانب استعراض أفضل الممارسات العالمية لتوزيع الكتب، ونمو تقنيات الطباعة، ومناقشة قضايا حفظ حقوق الملكية الفكرية للكاتب ولدور النشر.

ويأتي مؤتمر الناشرين ضمن جهود هيئة الأدب والنشر والترجمة لتنظيم صناعة النشر في المملكة والعالم العربي، والارتقاء بها إلى مستوى المعايير الدولية، وذلك بهدف تطوير منظومة صناعة الكتاب وتعزيز جاذبيتها للكاتب والمستثمر ودور النشر لضمان إنتاج ثقافي عربي مستمر ومتنوع ذي جودة عالية.

صناعة الكتاب ستشهد ثورة